

باحث: دومة الجندل هي موقع بلقيس ومملكة سبأ الحقيقي

جدل معرفي موقعها أقرب لمكان سيدنا سليمان من اليمن



حضور كثيف خلال محاضرة تاريخ دومة الجندل (الوطن)



جانب من الآثار التاريخية بدومة الجندل

دومة الجندل: محمد الحسن

نصف باحث في التاريخ السائد تاريخيا حول مملكة سبأ، معتبرا (مملكة دومة الجندل في منطقة الجوف) أول مملكة عربية قامت في التاريخ القديم على مستوى ممالك العرب. وقال الدكتور أحمد عويدي العبادي خلال محاضرته مساء أول من أمس بنادي الجوف الأدبي: إن مملكة سبأ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ليست ما يعتقد الكثير أنها سبأ الجنوب الواقع في اليمن، مؤكدا أن المملكة التي ورد ذكرها في قصة سليمان بالقرآن الكريم بسورة (الزمل) كانت تحكم مملكة دومة الجندل مستشهدا بقرنها من موقع سيدنا سليمان بعكس ما كانت عليه سبأ اليمن البعيدة كثيرا عن موقع الحدث.

وأكد العبادي أن هذه المملكة القائمة في دومة الجندل كانت تتمتع بنظام حكم ديموقراطي قائم على مجلس شورى أو نواب أو مستشارين كما هو حال تسميتهم اليوم في الحكومات والدول،

مستشهدا على ذلك بكلمة " الملاء " التي وردت بالقرآن الكريم على لسان الملكة بعد أن جاءها كتاب سيدنا سليمان. كما أكد العبادي أن مملكة دومة الجندل كان دورها بين الممالك العربية عامة، حيث كانت تعد نقطة استقطاب لقبائل شرق جزيرة العرب، وقبائل الرافدين ومركزا إستراتيجيا للتجارة العربية المتبادلة بين الشعوب في الممالك العربية وبلاد الشام، حيث كانت تحط بها وقتها القوافل وتنطلق منها. وتابع العبادي: إن الملك العربي جندب الذي انضم إلى حلف مع الأراميين كان في دومة الجندل، ذاكرا أن هذا الملك أول من أشار إلى العرب في نص من النصوص التاريخية.

كما بين أن ما يؤكد أهمية دومة الجندل تاريخيا في العصر الإسلامي أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - قاد بنفسه الجيش المتوجه لها وكانت معركة دومة الجندل الشهيرة حيث كانت ذات حصون محكمة وبها جيش قوي يدافع عنها على مختلف العصور.

وتطرق العبادي للإرث التاريخي للمنطقة من خلال القلاع أو الحصون أو النقوش القديمة المكتوبة بلغة مختلف الحضارات التي قامت على أرض الجوف ودومة الجندل تحديدا، مؤكدا أن آخر ما تم التوصل إليه حديثا هو الإعلان عن العثور على أكثر من ٣٠ ألف نص تاريخي في موقع الحرة القريب منها والذي كان يتبع لمملكة دومة الجندل تاريخيا. وعن دورها في نشر اللغة والكتابة العربية، أكد العبادي أن التاريخ أثبت أن عرب الحجاز قدموا من مملكة دومة الجندل وأن الخط العربي نبع من هذه المملكة. وطالب العبادي الحاصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات الاجتماعية من جامعة كامبردج البريطانية بالإسراع في أعمال الترميم لآثار المنطقة وإعادتها إلى الحالة التي تعد الأقرب لما كانت عليه سابقا قبل اندثارها، وإعداد مشروع لإطلاق موسوعة شاملة عن دومة الجندل إضافة إلى الإسراع من قبل المتخصصين لتدوين تاريخ المنطقة، معتبرا أن هذا الأمر قد

يكون متاحا للباحثين حاليا، لأن الجيل الحالي وعلى الرغم من أنه يغلب عليه البعد عن القراءة إلا أنه قادر على التدوين وقد يأتي جيل قادم قد لا يستطيع القراءة ولا التدوين.

وادي القرى

تزرع كتب الأدب والتاريخ بل شروح الأحاديث وكتب التفاسير بالإشارة والحديث عن وادي القرى وأهله (ساكنيه) حديثا لا يخلو من التشويق والإثارة، فقد قال الحازمي: (جاء ذكره كثيرا في الحديث والمغازي) مما يعطى موضوعنا أهمية متنامية، وذلك لأهمية المنطقة وساكنيها قديما وحديثا، كما أعطى وقوعها على طريق حاج مصر والشام بعدا حيويا آخر.

ورغم ما أشرنا إليه فإن تحديد موقع هذا الوادي بدقة لا يزال يحفه الغموض والتعميم لدى من تحدث عن هذا الوادي: حيث نقله البعض عن موضعه وتوسع بعضهم فراه أودية عديدة، ولأجل هذا بذلت هذه المحاولة واجتهدت للوصول إلى الصواب أملا في إضافة تخدم هدف إيضاح معالم المنطقة وتعين على استناد الأبحاث الخاصة بها على أساس أوضح للوصول إلى نتائج أكثر دقة، والله الموفق للصواب وهو المستعان وعليه التكلان.

أوادي القرى أودية أم واد ؟

لاخلاف في أن وادي القرى كان يسمى بهذا الاسم؛ بالإفراد حيث لم أر من سماه بالجمع أو التثنية «أودية القرى» أو «وادي القرى»، والذين حددوا القرى الواقعة عليه حدبوها بدقة بالميل فلو كان الوادي غير محدد الموقع لم يكن لهذا التحديد معنى، ولكن قد يلبس على البعض نسبة بعض المواضع إلى الوادي وهي غير واقعة عليه فهذه نسبة جهة وناحية وقرب لا نسبة وقوعها عليه.

وقد نقل ياقوت الحموي عن أبي المنذر: سمي وادي القرى لأن وادي القرى من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد وأثار القرى إلى الآن بها ظاهرة، إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب.

ومما يؤكد ذلك وصف البلدانيين للمنطقة حيث يذكرون ما قبل وادي القرى وما بعده أو ما هو أسفل منه وما هو أعلى منه مما يدل على انحصاره في منطقة

محددة لا عدة مناطق، مثل وصف مطران أسفل منه والعوالي (العلا) فوقه، وغير ذلك من الأمثلة التي سترد لاحقا وتعني أن الوادي منطقة محددة أو منظومة كما أشار إلى ذلك أبي المنذر في نقل ياقوت المشار إليه آنفا.

تحديد جهة الوادي وموقعه بالنسبة لمواضع معلومة:

بالرجوع إلى كلام البلدانيين عن الوادي وجهته بنسبة إلى مواضع معلومة نجد أنهم نصوا على ما يلي:-

- قال ياقوت الحموي: وادي القرى واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى.

وقال ياقوت في سياتي حديثه عن العلا: هو اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام. ووصف ابن كثير رحمه الله الحجر بأنها بين وادي القرى و الشام.

ومن النقلين الأخيرين يعلم أن وادي القرى إلى الجنوب من العلا والحجر وان وادي القرى ليس عين العلا أو الحجر بل هو غيرهما مما يقع إلى الجنوب منهما

ولكن ما هو حد البعد عنهما؟!

يوضح ذلك أمرين:-

الأول ما نص عليه صاحب كتاب بلاد العرب لغدة الأصفهاني حيث يقول في كتابه «بلاد العرب» ص 400: «وأسفل من وادي القرى مما يلي مطلع الشمس أرض بيضاء طيبة يقال لها مطران الأسود».

ومن المعلوم أن مطران هذا لا يزال معروفا وهو يقع تقريبا إلى الجنوب من وادي العلا وهو أسفل من

وادي العلا فيكون وادي القرى بين العلا ومطران في جهة يقع مطران منها في جهة مطلع الشمس، هذا من ناحية الجهة: فماذا عن المسافة والبعد؟.

حدد ابن جرير -رحمه الله- بعد قرح عن الحجر بـ 18 ميلا ومن المعلومات على ضوء الاكتشافات الأثرية أن قرح هو ما يعرف حاليا بالمبايات (انظر كتاب العلا دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي د.عبدالله بن آدم نصيف) وقد أشار ابن قتيبة أن قرح هي وادي القرى أو هي سوق وادي القرى فهو أقرب الأودية إليها ومن المعطيات التي أوردتها لاحقا يتضح لنا موقع الوادي وجهته وبعده مقارنة بمواضع لا زالت معلومة قبلي ذلك.

ماهو وادي القرى على ضوء التسميات الحديثة:- لا يعرف حاليا في المنطقة واد بهذا الاسم حيث اختفى هذا الاسم من الألسن وسنستعرض النصوص التي سيتم محاولة تحديد الوادي بناء عليها.

قال لغدة الأصفهاني في كتاب بلاد العرب ص 400: «وأسفل من وادي القرى مما يلي مطلع الشمس أرض بيضاء طيبة يقال لها مطران الأسود».

ولا زال اسم مطران يطلق على موضع في المنطقة وهو يقع مطلع شمس عن أعلى وادي أبو نخلة (مغيرا) ومما يؤكد ذلك وقوع المبايات على جانب هذا الوادي وهي التي توصلت الاكتشافات الأخيرة الأثرية أنها هي قرح وادي القرى أو سوق وادي القرى

وثمست قرينة أخرى تدل على ذلك، وهي أن وادي ابونخلة يتصل من جهته الجنوبية الغربية بوادي الجزل وقد وصف البشاري في أحسن التفاصيل سقيا الجزل بأنها أحسن مدن هذه الناحية والنخيل والبساتين متصلة من قرح إليها، والأقرب أن سقيا الجزل هي ما يعرف الآن بالخشبية (انظر الآثار الإسلامية في شمال



غرب المملكة- مدخل عام- د.علي غبان)
كما وجدت كلاما للشيخ حمد الجاسر -رحمه
الله- في حاشيته على كتاب المناسك للحربي أو الطريق
لوكيع ص400 حيث وصف السقيا (سقيا الجزل)
بأنها تقع في التقاء وادي الجزل الذي لايزال معروفا
بهذا الاسم يلتقي بوادي القرى.

وهذا النقل السابق نقل هام في تحديد وادينا
والتعرف عليه، وليت الشيخ حمد حدد مستنده الذي
استند عليه فيما ذهب إليه في نقلنا السابق عنه. ومما
يدل على ذلك ما ورد في وفاء الوفاء ص 1029 في أثناء
ذكره لمساجد غزوة تبوك: (الرابع عشر بالصعيد صعيد
قرح، الخامس عشر بوادي القرى).

فدل ترتيب هذه المساجد للقادم من تبوك أن وادي
القرى منفصل وانه يقع بعد قرح (المابيات حاليا)
للمتجه جنوبا وهذا يؤيد كلامنا السابق وينطبق تمام
الانطباق على وادي أبو نخلة (مغيرا).

مما سبق يمكن التوصل إلى مايلي:-

1 - وادي القرى واد واحد وليس أكثر من واد، وهو
واد قبل أن يكون منطقة وناحية وان كانت منطقتة
و ناحيته اكتسبت اسمه فيما بعد، ولكن هذا لا يعني
أنها هو.

2 - وادي القرى ليس - كما اشتهر- وادي العلا
ونسبة العلا إليه نسبة قرب وناحية لا نسبة وقوعها
عليه.

3 - الوادي الذي تنطبق عليها الأوصاف التي
أوردتها المتقدمون والأبعاد هو وادي أبو نخلة (مغيرا)
جنوب العلا.

4 - يؤيد ما ذهبنا إليه وجود العديد من معالم
الاستيطان الحضاري القديم على عدوتي هذا الوادي
(أي جانبيه) وفي أثناءه حتى وصوله إلى قرية الخشبية
والتقاءه بوادي الجزل بشكل ملفت للنظر.

5 - وقد تكون تسمية امغيرا هي تحريف
لتسميه القرى مع مرور الوقت، فأما هي ال.....
التهاميه في القرى، كما في ليس من امبر ام صيام
في ام سفر، وغيرا تقابل قرى في القرى.



«مداخل المدينة المنورة»

الداخل للمدينة النبوية من الجهة الشمالية (طريق تموك)، والجهة الشرقية (الرياض - القصيم) والجهة الغربية (الهجرة).
يدمى حين لا تبدو له أي معالم توجي بأنه يذلل إلى المدينة النبوية، فلماذا لا يتم تنفيذ مجسمات جمالية أو تراثية او معمارية تتلاءم ومكانة المدينة وعمقها الوجداني في قلوب القادمين إليها من بقاع الأرض؟

باحث يحدّد موقع «ذات الجيش» أحد أعلام حصا المدينة المنورة منذ العهد النبوي

وجد «موقع العلم» عند نقطة تقسيم الماء الجنوبي تجاه المدينة وشمالا تجاه الضبوعة وتربان



تمكّن الباحث في معالم المدينة المنورة التاريخية والسيرة النبوية عبد الله بن مصطفى الشنقيطي من تحديد موضع ذات الجيش الواردي حدود حمى المدينة المنورة، حيث وقّف على ما يعتقد أنه موقع العلم الذي وضعه كعب بن مالك رضي الله عنه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، عندما أرسله ليُعلم على أشرف الحمى فأعلم على شرف ذات الجيش وأشرف الحمى الأخرى.

وأكد الشنقيطي أنه وجد حجارة العلم وقد تحطم بعضه وبقي بعضه حيث أن عدم العناية به أدت إلى تساقط بعض حجارتها، داعياً الباحثين وهيئة السياحة والأثار إلى دراسة هذا الأثر وتوثيقه والمحافظة عليه لكونه أحد أعلام حدود حمى المدينة فضلاً عن أنه يعود للعهد النبوي الزاهر.

واعتمد الشنقيطي في تحديد موضع ذات الجيش على تحديد أبي علي الهجري قاضي المدينة والعالم المحقق في الأعلام والمواضع، الذي أنفى عليه مؤرخ الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في كتابه أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع.

وأكد الشنقيطي أن تحديد الهجري أدق وأكثر مطابقة للواقع دائماً، وخلص إلى أن ذات الجيش شعبة (وادي صغير أو شعيب) على يمين

الذاهب من ذي الحليفة (أبيار علي) على طريق مكة القديم وهو الطريق الذي كانت تسلكه القوافل من العهد النبوي إلى عهد السيارات الحالي، ويطلق عليه الآن طريق ينبع القديم، نافياً أن تكون ذات الجيش هي المفرّحات كما ادعاه بعض من حدّدها، لأن الاسم التاريخي للمفرّحات هو ثنية الحفيرة.

ذات الجيش في السيرة

برز اسم ذات الجيش أحد أعلام حدود حمى المدينة المنورة في قصة تشريع التيمم، الذي جاء الترخيص فيه بقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم... الآية.

وروت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قصة فرض التيمم التي ورد اسم ذات الجيش صريحاً فيها كما جاء في سنن النسائي وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم

ماء، فأتى الناس أبو بكر رضي الله عنه فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء!!، فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء!!؟ قالت عائشة:

فعاثني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني في خاصرتي فما معني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله عز وجل آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هي أول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته، وجاء في حديث عمار أنها ذات الجيش بالجزم. وفي حديث الحمى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حمى المدينة بريداً في بريد و أرسل كعب بن مالك رضي الله عنه ليُعلم على أشرف الحمى فأعلم على شرف ذات الجيش.... وعلى بقية المواضع المذكورة في الحديث، وذكر ابن إسحاق أن ذات الجيش منزل من منازل النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بدر الكبرى، وكل هذه الآيات والأحاديث وغيرها متعلق بموضع مهم قرب المدينة المنورة هو ذات الجيش.

تحديد ذات الجيش

وعن تحديد ذات الجيش يقول الشنقيطي: كفانا مؤونة تعريف ذات الجيش وتحديد موقعها مؤرخ المدينة وقاضيها أبو علي الهجري -رحمه الله- الذي قال: ذات الجيش شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة، قال: وصدر الحفيرة وما قبل من الصلصلين يدفع في بئر أبي عاصية، ثم يدفع في ذات الجيش، وما دبر منها يدفع في البطحاء ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين في وادي العقيق، وذات الجيش تدفع في وادي أبي كبير وهو فوق المحرم والمعرس، وطرف عظم الغربي يدفع في ذات الجيش، وطرفه الثاني يدفع في البطحاء.

وهذا التحديد -يقول الشنقيطي- الذي ذكره الهجري رحمه الله من أوفى التعريفات وأدقها لهذا المعلم وهو -أي الهجري- تحديده للمواضع دائماً ما يكون صحيحاً، وعند الوقوف عليها ميدانياً نجدها كما قال بالضبط، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الثواب لقاء ما قدم من خدمة جليلة بتعريف المسلمين بمعالم طيبة الطيبة مهاجر ومثوى سيدنا وشفيعنا صلى الله عليه وسلم.

ويعضى الشنقيطي في تحديد ذات الجيش في العصر الحاضر فيقول: إن ذات الجيش شعبة (وادي صغير أو شعيب) على يمين الذاهب من ذي الحليفة (أبيار علي) على طريق مكة القديم وهو الطريق الذي كانت تسلكه القوافل من العهد النبوي إلى

عهد السيارات الحالي ويطلق عليه الآن طريق ينبع القديم، والتحديد المذكور لذات الجيش ينطبق على شعبة أو شعيب يعترض الطريق المعبد من جهة اليمين قبل ريع المفرحات بحوالي ٢ كم وعلى بعد ١١,٥ كم من ذي الحليفة، وقد بُني عليه جسر ليمر سيل الشعيب منه الذي يباري الطريق في اتجاه الشرق ثم يدفع في وادي أبي كبير كما قال الهجري تماما، والتلعة التي هي رأس الشعيب (شرف ذات الجيش كما هو اسمها الوارد في حديث كعب بن مالك) ترى من الجسر رأي العين على بعد ٣ كم، لذلك فإنه قد جانب الصواب من اعتبار ذات الجيش هي المفرحات، فالمفرحات اسمها التاريخي تذيئة الحفيرة.

العنور على العلم

بيئة الموقع

يقول الشنقيطي: بعد أن بحثت وتقصّيت ثبت لدي أن هذه الشعبة هي ذات الجيش، فركبت السيارة إليها فوجدت أن فم الشعيب مغلق لوجود شركة مواد بناء (كسارة)، فترجلت من السيارة وصعدت

مشياً على الأقدام حتى الوصول إلى أعلى التلعة، وعند نقطة تقسيم الماء الجنوبي في اتجاه المدينة والشمال في اتجاه الضبوعة وتربان وجدت حجارة مركومة بعضها فوق بعض وقد تساقط جزء منها وبقي منها بقية بارئع حوالي نصف متر، ولم أشاهد علامة أخرى تشبهها بقربها أو حولها، وهي بالتأكيد موضوعة لتدل على شيء معين، وأرى أنها قد تكون هي العلامة التي وضعها كعب بن مالك رضي الله عنه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أجزم بذلك الآن ولكن أدعو المختصين بالأثار إلى دراسة هذا الأثر وإبداء الرأي العلمي فيه لتتضح الحقيقة، فإن كان هو ما وضعه الصحابي الجليل كعب بن مالك فيعطى ما يستحقه من اهتمام.

وحسب ملاحظات الشنقيطي في زيارته للموقع فإن شعبة ذات الجيش قد دُمرت تماما بفعل شركة الكسارة الموجودة فيها، وفي هذا كما يرى مخالفة صريحة للأمر النبوي بصيانة حِمى المدينة من قطع الأشجار وتدمير البيئة.